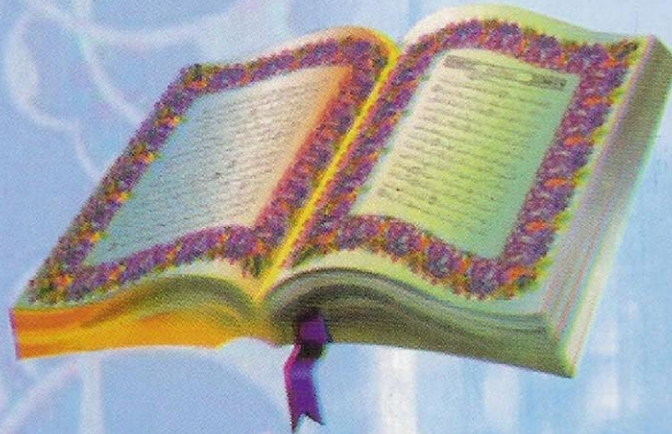
بداية التعرف

في شرح

نقاية التصوف



نظم وشرح

فضيلة الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب النيدى

شاعر الرسول ﷺ





بداية التعرف

في شرح

نقاية التصوف

نظم وشرح

فضيلة الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب النيدى

شاعر الرسول ﷺ

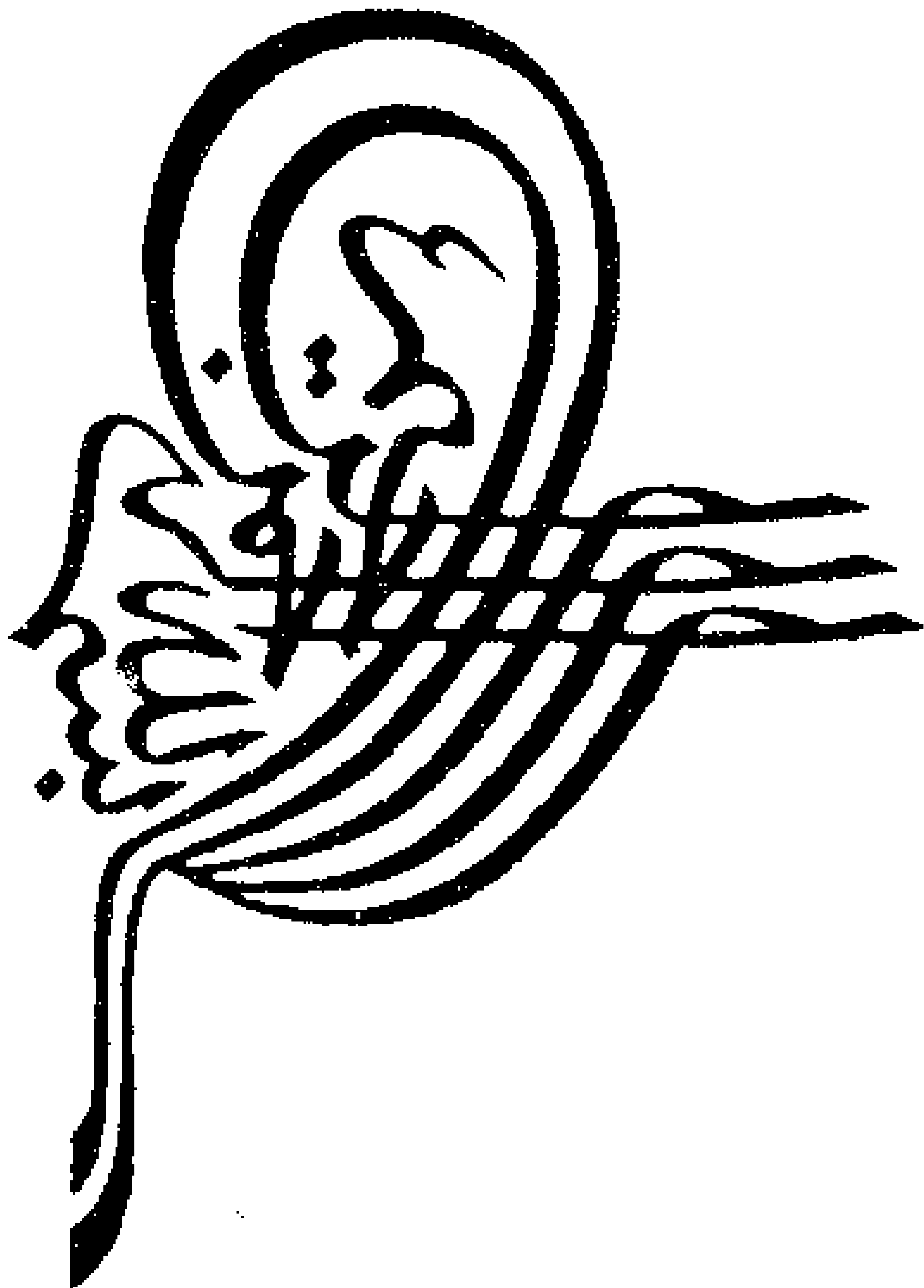
يا طالباً فن التصوف حقه

اقرأ نُقايته تجده صحيحاً

وهى الهدية للنبى محمد

ولمن تلاه موفقاً ممنوحاً

رقم الإيداع
٨٠٩٩ / ٢٠٠٦



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. وبعد:

فيقول محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد الخطيب لَمَّا مَنَّ الله عليَّ بنظم نقاية التصوف التي ألفها الإمام جلال الدين السيوطي. وكانت حاوية لكل صفة كمال يتحلى المؤمن بها، شرحتها بشرح وجيز سميته (**بداية التعرف في شرح نقاية التصوف**). وللإسلام أمارات تدل عليه، وللإيمان علامات ترشد إليه وليس كل من زعم الإسلام مسلمًا، ولا من ادعى الإيمان صادقًا. إذ المسلم الحق من يقيم للدين بنيانه، وللإسلام أركانه.

فتراه واقفًا عند أمر ربه، متجنبًا ما حرمته شريعته. إذا ذُكر الله وَجِلَ قلبُه، وخشعت نفسه، وفاضت عينه، من يعتمد على ربه في نوال حاجته بعد أن بذل جهده فيما يوصله إليها، مصدقًا بكل ما جاء به القرآن تصديقًا لا شك فيه، وجاهد بنفسه وماله في نصرة الدين ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات: 15]. والمؤمن حقًا من يُعْرِضُ عن اللغو والباطل، ويرعى العهود والأمانات ويحفظ فرجه عن المحرمات، ويحافظ على الصلوات: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المؤمنون: 1] الآيات. المؤمن من رضي بحكم الله وقضائه وحَكَّمَ ربه في كل شجاره وخلافه. ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: 65]. المؤمن يتخذ المؤمنين أولياءه وأنصاره وأحبابه وإخوانه ولا يوالي من كان على الإسلام حربًا ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: 71]، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: 10]، ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ [المجادلة: 22]. المؤمن يهجر الملاهي والمناهي، ويعمر بيوت الله لإقامة الصلوات وسماع العظات ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**

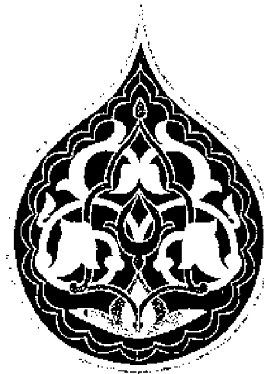
وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [التوبة: 18].

المؤمن راض بقضاء الله وقدره إن أصابه خير شكر، وإن نزلت به ضراء صبر، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. نفسه طاهرة وأخلاقه عالية، وأعماله طيبة، وقد تضمنت النقاية وشرحها كل صفات المسلم وأدلتها من الكتاب والسنة وخلاصة التصوف الحق.

ونسأله التوفيق وحسن الخاتمة والعون للمسلمين والمسلمات على ما يرضيه والسلام.

طنطا فى 29 **المحرم من سنة** 1400

محمد خليل الخطيب



الشيخ الإمام محمد خليل الخطيب

هو محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد بن الشيخ السيد بن الشيخ إسماعيل إبن الشيخ احمد الخطيب ولد بقرية نيده مركز أخميم محافظة سوهاج فى التاسع من شهر مارس سنة ألف وتسعمائه وتسع للميلاد ، ١٣٢٧ هـ وعائلته من أشهر عائلات أخميم وشهرتها بالعلم قديمة ، وينتهى نسبه إلى رسول الله ﷺ ، وأنعم الله عليه بحفظ القرآن الكريم فى طفولته ، والتحق بمعهد أسيوط الدينى وحصل على شهادة الابتدائية سنة 1924 م ثم حصل على الثانوية الأزهرية سنة 1928م ، وشهادة العالمية سنة 1933 م وشهادة التخصص (الدكتوره الحالية) فى اللغة العربية سنة 1936م .

مــؤلفــاتـــه:

لقد أثرى رضي الله عنه المكتبة الإسلامية بمؤلفاته المتنوعة ، فلقد صنف فى الفقه والحديث واللغة والشعر والقصص والتفسير والتراجم ولعل ما ساعد على ذلك ملكته المتقدة وذوقه الرفيع وحسه المرهف وصبره الجميل ، فكان مثالاً للعالم والأديب ، والباحث المتئد والمنقب الصبور - فهل أتاك نبأ كتابه الفريد **(إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام)** الذى زين المكتبة الإسلامية بما حواه من خطب رسول الله ﷺ كاملة ومرتبة ومصححة وأعده الشيخ الإمام فى مدة خمسة عشر عامًا . وهل وصل إلى مسامعك خبر كتابه القيم : **(غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب)** الذى أعده الشيخ فى عدة سنوات غاص خلالها فى بطون أمهات كتب الأدب وغيرها من كتب العرب بحثًا عن شعر أبى طالب حتى جمع شتاته ، ورتب أبياته ، ووضح غامضه ، وبين مشكله ، ساعده على ذلك ثقافته الواسعة ، وزاده الكثير من مفردات اللغة ، ولا عجب فهو شاعر كبير ؛ له فى الشعر باع وأى باع ، ولو اطلعت على ديوان شعره (سيطبع قريبًا إن شاء الله) لتملكك العجب إذ أن الشيخ الإمام مع أنه أوقف شعره على الرسول ﷺ إلا أنه كان يعرض كثيراً من القضايا التى تتصل بالإسلام من قريب أو بعيد بطريقة تخاطب عقلك ، ولا تعارض وجدانك ، ويرد على كل تساؤل فى نفسك فلا يسعك إلا التسليم بما قال ، إذ ليس ما قاله إلا عين ما جاء به الشرع الحنيف فكلامه كله لا يخرج عن آية أو حديث أو ما تواتر عن الأئمة الأعلام . أضف إلى ذلك أن

لكتاباته مشربًا خاصًا وطريقة لم يحد عنها أبدًا . فما وافق الشرع كان الشيخ الإمام ناقلاً له موضحًا إياه، وما خالف الشريعة ضرب به الشيخ عرض الحائط ونفر منه - فهو لسان حق يدعو إلى الله على بصيرة .

وإن تعجب فعجب أمر تمكن الشيخ الإمام فى اللغة إذ تمكن منها أيما تمكن وآية ذلك (**ألفية الخطيب فى فن الصرف**) التى نظمها ثم شرحها شرحًا وافيًا لا يدرك قيمته إلا أئمة اللغة العربية وفرسانها .

وإن أنس فلا أنس كتابه القيم : (**القصص الحق لسيد الخلق**) الذى جمع فيه القصص النبوى الكريم ثم شرحه فى عدة أجزاء وعلق عليها تعليقًا علميًا بارعًا، وهذا كله يؤكد مواهبه المتعددة التى تجسدت فى شخص واحد هو شخصه الكريم ﷺ، ومهما يكن من شيء فإن هذه المصنفات ما هى إلا غيض من فيض وقليل من كثير إذ لمولانا الشيخ الإمام من الكتب القيمة ما يماثل سنوات عمره المبارك .

الشيخ والتصوف:

ولفضيلته مدرسة كبرى فى التصوف أعادت لنا الصورة المضيئة النقية لما كان عليها المسلمون الأوائل ؛ أركانها العلم والذكر والقدوة الحسنة، ويسير عليها الآلاف من تلامذته المخلصين وما زالوا ينقلونها إلى كل مكان .

كان غفر الله لنا وله مقتفيًا آثار النبى ﷺ وأصحابه الكرام لا يخرج عما كانوا عليه، وقصده إحياء سنته واقامة طريقته وتوضيح منهجه، الله غايته ووجهته، والقرآن الكريم والسنة النبوية زاده وعدته، ومحبته للنبى ﷺ هى روحه وسر قوته .

الشيخ والكرامات:

كرامات الشيخ فى كل يوم مئات بل مع كل نفس للإمام الراحل كرامة ولن أتعرض هنا للحديث عنها فهى أمور عادية جدًا لشيخنا الإمام ومن كثرتها واعتيادنا عليها كنا لا نلتفت اليها ؛ وهذه هى رغبة الشيخ حتى تخيلنا أنه لا يعتقد فيها ولم يكن هناك أحد يجرؤ على التحدث عنها فى مجلسه فهو يفصل تمامًا بين حياته الخاصة مع ربه وحياته بين الناس كعلم من أعلام الشريعة يقف عند نصوصها ويسير مع روحها فلا يتجاوز ذلك ولو كلفه حياته، ودائمًا يسأل الله حسن الخاتمة ويطلب

من الله المعونة والمغفرة .

ومن أراد المزيد من المعرفة عن روائع الشيخ الخطيب غفر الله له فعليه قراءة كتاب **(نفحة القبول فى سيرة شاعر الرسول ﷺ)** (1) فهى صفحات مباركات علها تفى بما يريد القارىء معرفته في مختلف جوانب حياته المباركة الروحية منها والأدبية والعلمية .

وفاتـــه:

استمر الشيخ الإمام فى نشر تعاليم الإسلام بين الناس بالقول والعمل والعطاء حتى لقى ربه عن سبعة وسبعين عامًا عشية يوم الجمعة الموافق الحادى والعشرين من فبراير سنة 1986م وكان مثواه المبارك (2) بمسجده العامر بمدينة طنطا حيث أسس طريقته وكانت إقامته الكريمة الحافلة بكل أوجه الخير ، غفر الله لشيخنا الجليل وجزاه عنا خير الجزاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمود محمد الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ



(1) كتاب نفحة القبول لسيدنا الشيخ محمود محمد خليل الخطيب الخليفة الأول لسيدنا الشيخ الإمام ووارث علمه ومناقبه الكريمة وشارح لبعض كتبه المباركة .

(2) الضريح المبارك بطنطا بمسجد المحافظة بشارع البحر قرب مبنى المحافظة .

تمهيـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فيقول شاعر النبى ﷺ وخادم سنته الغراء محمد بن الشيخ خليل الخطيب هذه تعليقات يسيرة على نقاية التصوف أرجو الله أن يقبلها وينفع بها، ويجعلها ذخيرة عنده خالصة لوجهه مقربة إليه محببة فى دينه. وهو حسبى ونعم الوكيل.

يقول عبـــد ربـــه الخطـــيب ... أحمـــد ربـــى وله أتـــــوب

مصليا مســـلما علـــى الوفـــى ... نبيـــنا وآلــــه والمقتفـــــى

وهـــذه «نقاية التصـــــوف» ... فيا سعيد اعرف بهـــا وعــرف

والله أرجــولى وللجــــلال* ... والمسلمين أحسـن الأحـــوال

تفريغك القلب لمن ســـــواه ... مع احتقار كل ما ســـواه(1)

فجد كل الجد فى الطاعــات ... مبادراً فى سائر الحـالات(2)

وأبدأ بمفروض ودع حرامًــا ... وانبذ هوى وأكرم الكراما(3)

(1) التصوف هو كما قال الأمام الغزالى: تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه.

(2) وإذا علمت المقصود منه فالواجب أن تراقب الله تعالى فى جميع حالاتك، أى تنظر إليه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك، وأن تجد كل الجد فى الطاعات مبادراً فى سائر الحالات.

(3) فابدأ بفعل الفرائض التى افترضها الله عليك، واترك المحرمات صغيرها وكبيرها، واتبع ما جاءك عن ربك واطرح ما دعا إليه هواك وأكرم من قربك إلى مولاك. قال الله تعالى فى الحديث القدسى: «**ما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما أفترضته عليه**».

(*) هو الإمام جلال الدين السيوطى رحمه الله.

وأنــت في المبــــاح بالخيـــار	فاسلك به مســالك الخيـــار (1)
ولازم النفــــــل تكن وجيهًـــــا	دنيا وأخرى واجتنب مكروهًا (2)
ولا تفــــــــى من حقــه بذره	ولو لزمت ما حَييــت أمــره (3)

(1) وأنت فى المباح بالخيار بين الفعل والترك، وإذا وفقت فاسلك به مسالك الخيار بأن تنوى به الطاعة كالجلوس فى المسجد للاستراحة مضمومًا إليه نية الاعتكاف ، أو التوصل إليها كالأكل للقوة على العبادة أو الكف عن الحرام بالجماع لكسر الشهوة حذراً من الوقوع فى الزنا فإنك تثاب . قال ﷺ : «**وفى بضع أحدكم** صدقة» فقيل أيأتى أحدنا شهوته وله فيها أجر فقال : «**أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجرٌ**» رواه مسلم .

(2) ولازم النوافل واترك المكروهات تكن عند ربك وجيهًا فى دنياك وأخراك قال الله تعالى : «**ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمش بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه**» رواه البخارى .

وليكن اهتمامك بترك المنهى أشد من فعل المأمور لأن الأول كف وهو أسهل من الفعل . ومن قواعد الشرع أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ولهذا قيل : إن لم تطق أن تعبد الله فلا تعصه ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم**» علق المأمور به على الاستطاعة دون المنهى لسهولة الاجتناب .

(3) واعتقد بعد مراعاة ما سبق أنك مقصر فيما أتيت به ، وأنك لم توف من حق الله تعالى عليك مثقال ذرة ولو لزمت طوال حياتك أمره واجتنبت نهيه . كيف واقداره إياك على ما أتيت به نعمة منه يجب عليك شكرها .

وفى مسند الإمام أحمد حديث «**لو أن رجلاً يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت فى مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامه**» .

ولا ترى أقل منك أحدا	حتى تموت مؤمنا موحدا (1)
فخف رحيما وارجه مراحمه	لاسيما الحسنى وحسن الخاتمه
فكم شكور قد قضى كفورا (2)	وكم كفور قد قضى شكورا (3)
ما قيمة الأعمال والإراده	سابقة بالنحس والسعاده (4)

(1) واعتقد أنك لست بخير من أحد، ولو كان بحسب الظاهر من كان فإنك لا تدرى ما الخاتمة لك وله، وقد قال ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة**» رواه الشيخان. فاسأل اللّه دائماً حسن الخاتمة.

(2) وإن فى قصة بلعام وفى قصة برصيصاء لعبرة، وارجع إليهما فى الجُنة فى شرح عقيدة أهل الجنة للخطيب.

(3) وكسحرة فرعون فإنهم كانوا كافرين مناصرين للكفر وفى لحظة صاروا مؤمنين وماتوا شهداء صديقين.

(4) قال ﷺ: «**يُجمع أحدكم خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد**» إلى آخر الحديث. رواه الشيخان. ولذا قيل: السعادة قبل الولادة، والعناية قبل الولاية.

فالغر من يغتر أو يتكل	والله قال يا عبادى اعملوا (1)
وسلم الأمر لمن دبره	فلن ترى غير الذى قدره (2)
ولا تراقب غير أمر الله	فى خلقه وقيت شر اللاهى (3)
مستحضراً أن الذى قضاه	مهما يكن لابد أن تراه (4)

(1) والواجب عليك ألا تغتر بعملك فإنك لا تدرى ما خاتمتك وألا تدع العمل

فإن الله أمرك به وسائلك عن تقصيرك فيه ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105].

(2) والواجب أن تسلم أمرك لمدبر أمر السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما موقنًا بقضائه وقدره، معتقدًا أنه لا يكون إلا ما يريده هو لا ما تريده أنت ولو حرصت. ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة: «**استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

(3) **وراقب أمر الله فى خلقه**، وإياك أن تراقب أحوال الناس أو تراعيهم فينسد عليك أبواب كثيرة من الخير إلا بما ورد به الشرع من المداراة والقول السالم من الإثم والشر.

(4) واستحضر فى نفسك ثلاثة أصول فإنها تعينك على ما تقدم من الوصايا: -

الأصل الأول: أن لا نفع ولا ضرر إلا منه تعالى وأنه قدر لك رزقًا ونفعًا وشدةً وضررًا فى الأزل واصلاً إليك لا محالة فإن جرى على يَدَيْ شخص فبتقديره تعالى كما قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾ [يونس: 107]. وقال تعالى: ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٧٨].

وقال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده أمامك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف..**» رواه الترمذى وصححه.

فإن استحضرت هذا الأصل هان عليك ترك مراعاة الناس إذ لا معنى لها حينئذ.

وأنت ملك الله والمملوكُ	يختار ما يختاره المليك

الأصل الثانى: أن تلاحظ أنك عبد مرقوق، ولا تصرف لك فى نفسك وأن مولاك ومالكك له التصرف كيف يشاء فيك كما هو شأن المالك فى مملوكه، وأنه يقبح منك أن تكره ما يفعله بك مولاك الذى هو أشفق عليك وأرحم بك من نفسك

ووالديك . ففي الحديث : «الله أرحم بالمؤمن من المرأة بولدها»[1] .

وأنه أحكم الحاكمين في فعله كما أخبر بذلك في كتابه وأنه لم يُرد بذلك الواصل إليك من الضرر إلا صلاحك ونفعك من التكفير لخطاياك والترفيع لدرجاتك . قال ﷺ : «**ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ، ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته**» رواه الشيخان .

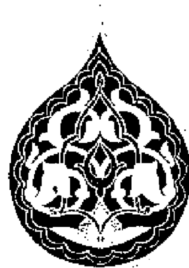
فإذا استحضرت هذا الأصل هان عليك التسليم للقضاء .

وأنت مذ ولدت جد سـاري	**للمنتهى في الليل والنهار (1)**
فحمـل الفاني نحـو الباقي	**وافن الفنـاء كله في الباقـي**

الأصل الثالث: أن الدنيا زائلة فانية والآخرة آتية باقية وأنك في الدنيا مسافرٌ ولابد أن ينتهي سفرك وتصل إلى دارك فتستقر بها ، وتنال الراحة واللذة والاجتماع بالأحباب الذين سبقوك في السفر فاحتمل مشقات السفر الذي ينقطع عن قريب بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى شديد المعيشة ونحوها واجتهد في عمارة دارك التي هي مسكنك بالحقيقة وإصلاحها وتزيينها بالإكثار من العبادات في هذا الأمد القليل لتتمتع بها دهراً مديداً بلا نصب .

فإذا استحضرت هذا الأصل هانت عليك المراقبة السابقة .

وتشبيه الدنيا بالسفر مأخوذ من حديث ابن مسعود «نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك . فقال : «**مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» رواه الترمذي .



(1) الحديث متفق عليه : وفي البخاري (أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قال : قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه «أي إذا كانت مختاره »فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها) .

المراقبة

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] إذ تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة وهو مقام شريف أصله علم وحال، ثم يثمر حالين.

أما العلم فهو معرفة العبد أن الله مطلع عليه، ناظر إليه يرى جميع أعماله ويسمع جميع أقواله ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتهما عند أصحاب اليمين الحياء من الله وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتهما عند المقربين الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» فقوله أن تعبد الله كأنك تراه إشارة إلى الثمرة الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم كمن يشاهد ملكًا عظيمًا فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين فاعلم أنه يراك فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين. فلما فسر الإحسان أول مرَّة بالمقام الأعلى رأى أن كثيرًا من الناس قد يعجزون عنه فنزل إلى المقام الآخر.

واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة.

فأما المشارطة فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصي وأما المرابطة فهي معاهدة العبد لربه على ذلك:

ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه الله حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ونقض عهد المرابطة عاقب النفس عقابًا يزجرها عن العودة إلى مثل ذلك ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة ثم اختبر بالمحاسبة فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى.

هـــذا وإن كـــامل الإيمـــان	من فيه تمت شـــعب الإيمـــان (1)
وينقص الإيمـــان قـــدر الناقـــص	فارغب إليه فى اليقين الخـــالص (2)
بضـــع وســـبعون بإخبار الخـــبر	وهاكها كما ارتضاها ابن حجر (3)

(1) والمؤمن الكامل فى إيمانه من كملت فيه شعب الإيمان، ومن نقصت منه واحدة منها نقص من إيمانه بحسبها.

(2) وقد أجمع السلف على أن الإيمان يزيد وينقص وزيادته بالطاعات ونقصه بالمعاصى.

(3) وشعب الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة. روى الشيخان هكذا على الشك من حديث أبى هريرة. ورواه أصحاب السنن الثلاثة بلفظ بضع وسبعون بلا شك، وأبو عوانة فى صحيحه بلفظ ست وسبعون أو سبع وسبعون، والترمذى بلفظ أربع وستون، وقد تكلف جماعة عدها بطريق الاجتهاد وأقربهم عدا ابن حبان حيث ذكر كل خصلة سميت فى الكتاب والسنة إيمانًا، وقد تبعه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر فى شرح البخارى قال الإمام السيوطى: وتبعناه.

وأقول: وقد تبعت السيوطى فى عدها. ونظمتها كما ذكرها فى نقايته.

مفتاحها الإيمـــان بالديان	ونعته الوارد فى القـــرآن (1)
وكتبه ورســـله وبالقـــدر	والبعث والأملاك عز من قدر
محـــبة الله وحـــب فيـــه	كذلك البغض لمن يشنـيه (2)
وحـــب طه واعتقـــاد رفعتـه	صـــلاتنا عليه، قفوُ ســنته

(1) **الإيمان بالله تعالى:** وصفاته وحدوث ما دونه، والإيمان بكتبه ورسله وملائكته والقدر، والإيمان باليوم الآخر أى القيامة لأنه آخر الأيام ويشمل البعث والحساب والجنة والنار والحوض والصراط والميزان.

قال ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**» رواه الشيخان، وفى لفظ لمسلم «**والجنة والنار والبعث بعد الموت**».

وروى الترمذى وغيره حديث «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه**» .

2- **ومحبة الله والحب والبغض فيه، ومحبة النبى ﷺ** : روى الشيخان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن نجاه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار**» .

وروى أبو داود والترمذى حديث : «**والحب والبغض فى الله من الإيمان**» وفى مسند الإمام أحمد : «**أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله**» .

المحبة

قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التى لا يخلو منها كل مؤمن وهى واجبة والأخرى المحبة الخاصة التى ينفرد بها العلماء الربانيون والأولياء والأصفياء وهى أعلى المقامات وغاية المطلوبات فإن سائر مقامات الصالحين كالخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك مبنية على حظوظ النفس . ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجى إنما يرجو منفعة لنفسه بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة .

واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين : وكلاهما إذا اجتمعا فى شخص من خلق الله كان فى غاية الكمال . الموجب الأول : الحسن والجمال والآخر : الإحسان والإجمال؛ فأما الجمال فهو محبوب بالطبع فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن .

والإجمال مثل إجماله فى حكمته البالغة وصنائعه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار التى تروق العقول، وتهيج القلوب، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر لا بالأبصار .

وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى

عباده متواتر. وإنعامه عليهم باطن وظاهر ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34].

ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصى والمؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو فى الحقيقة منه وهو المستحق للمحبة وحده.

واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد فى طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد فى الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل من يحبه الله، وإيثاره على كل من سواه.

قال الحارس المحاسبى: المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك. ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك فى حبه.

واعتقاد تعظيمه ﷺ وفيه الصلاة عليه، وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بالثانية فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 56]. وفى معنى الأولى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2] وذلك تعظيماً له.

واتباع سنته ﷺ: «**لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**» رواه الأصبهانى فى الترغيب، ورواه الحسن بن سفيان بلفظ «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**». وإسناده حسن.

وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» رواه الترمذى وابن ماجة.

كذلك الإخـــلاص باتفــاق	ترك الرياء منـــه والنفـــاق

والإخلاص قال ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله وحده، وطاعة ذوى الأمر، ولزوم الجماعة**» رواه أحمد وصححه والحاكم وغيره. ومعنى لا يغل لا يحقد عليهن أى لا يكون بينه وبينهن عداوة. وفيه ترك الرياء والنفاق. روى

ابن ماجة عن شداد بن أوس مرفوعًا: «**إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية**».

وفي لفظ عنه عند غيره كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر وقد فسر الشرك في قوله تعالى: ﴿ **وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ [الكهف: 110] بالرياء.

والنفاق: إخفاء الكفر وإظهار الإسلام.

الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينه: 5].

الإخلاص: التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء. وذلك أن الإخلاص مطلوب فى التوحيد وفى الأعمال، وعدم الإخلاص فى التوحيد هو الشرك الجلى، وعدم الإخلاص فى الأعمال هو الشرك الخفى وهو الرياء.

قال ﷺ: «**الرياء الشرك الأصغر**».

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه تعالى يقول: «**أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشريكه**».

واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات.

فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النية لغير الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود. وإن كانت النية مشتركة ففى ذلك تفصيل.

وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج من عهدتها ولم يكن له أجر فى تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج من عهدتها مع الأجر.

وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر. وإن فعلها بنية وجه الله تعالى فله فيها أجر. فإن كل مباح يمكن أن يصير قربه إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام.

صبر وشكر خوفه رجاء	رضا القضاء توبة وفاء

الصبر

قال ﷺ : «**الصبر نصف الإيمان**» رواه البيهقي . وورد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعًا وذلك لعظمة موقعه في الدين . قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: 10] .

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة أولها المحبة . قال : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: 146] والثاني النصر قال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: 153] والثالث غرفات الجنة قال : ﴿**يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا**﴾ [الفرقان: 75] والرابع الأجر الجزيل ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: 10] والأربعة الأخرى مذكورة في هذه الآية ففيها البشارة قال : ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: 155] والصلاة والرحمة والهداية ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 157] .

ونظمتها فقلت :

محبتهُ ونُصرته بصبر ... مثوبته الجزيلة والعوالي

صلاة منه رحمته وبشرى ... هدايتُه ، تعالى عن مثال

والصبر على أربعة أوجه:

* صبر على البلاء وهو منع النفس من السخط والجزع والهلع .
* وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر وعدم الطغيان وعدم التكبر بها .
* وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها .
* وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها .

ونظمتها فقلت:

صبر على نعم صبر على نقم ... صبر على طاعة صبر عن الزلل

وفوق الصبر التسليم: وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرًا وترك الكراهة باطنًا .

وفوق **التسليم الرضا بالقضاء** وهو سرور النفس بفعل الله ، وهو صادر عن المحبة ، وكل ما يفعله المحبوب محبوب .

الشكـــر

والشكر فإن الله تعالى قابله بالكفر حيث قال عز وجل : ﴿ **وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [لقمان : 12] .

وروى أبو داود حديث : «**من أعطى عطاء فوجد فليجز به فإن لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره**» .

وفي مستند الفردوس حديث «**الإيمان نصفان : نصفٌ في الصبر ونصف في الشكر**» .

الحمد والشكر:

واعلم أن الحمد أعم من الشكر لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة والحمد يكون جزاءً كالشكر ويكون ثناء ابتداءً ، كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد لأن الحمد باللسان والشكر باللسان والقلب والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد علمت أن قولك الحمد لله يقتضي الثناء عليه لما هو متصف به من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ويقتضي شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى . فيا لها كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات ، وحسبك أن الله جعلها أولى كتابه وآخر دعوى أهل جنته .

وأعلم أن **الشكر باللسان:** وهو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم قال رسول الله ﷺ : «**التحدث بالنعمة شكر**» .

والشكر بالجوارح: هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه .

والشكر بالقلب: هو معرفة مقدار النعمة ، والعلم بأنها من الله وحده والعلم بأنها تفضُّلٌ لا باستحقاق العبد .

واعلم بأن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام : نعم دنيوية كالعافية والمال ، ونعم دينية كالعلم والتقوى ، ونعم أخروية وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير .

والناس فى الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم .

والشكر على ثلا ث درجات:

درجة العوام: الشكر على النعم .

ودرجة الخواص: الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال .

ودرجة خواص الخواص: أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم .

قال رجل لإبراهيم بن أدهم : مَنْ أفضل الناس؟ قال : الفقراء الذين إذا منعوا شكروا وإذا أعطوا آثروا .

ومن فضيلة الشكر أنه من صفات الحق ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله الشاكر والشكور أى المجازى لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب ، وقيل المثنى على العباد .

فائدة: الحمد لله رب العالمين ـ أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين :

أحدهما: ما خَرَّجَهُ النسائى عن رسول الله ﷺ : «**من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة**» .

والثانى: أن التوحيد الذى تقتضيه لا إله إلا الله حاصل فى قولك رب العالمين وزادت بقولك الحمد لله .

وأما قوله ﷺ : «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله**» فإنما ذلك للتوحيد الذى يقتضيه . وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين فى ذلك وزادت عليها وهذا لمؤمن يقولها لطلب الثواب ، وأما لمن دخل فى الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله . أ هـ . ابن جزى فى تفسيره .

الخوف والرجاء

والخوف: قال ﷺ : «**إن من أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان**» رواه البيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى فى الأوسط وروى الأصبهانى فى ترغيبه من حديث معاذ : «**إن المؤمن لا يأمن قلبه ، ولا تسكن روعته**» .

والرجاء: لوصف الله تعالى ضده بالكفر قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:87]. والروح: الرحمة.

وقال ﷺ: «**حسن الظن من حسن العبادة**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: «**أفضل العبادة انتظار الفرج**» رواه البيهقي.

قال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:56] جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفًا راجيًا كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:57] فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه. وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه. قال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر:49]. من عرف فضل الله رجاه، ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء في الحديث: «**لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا**» إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**».

واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون ضعيفًا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر فوجود هذا كالعدم.

والثانية: أن يكون قويًا فيوقظ العبد من الغفلة، ويحمله على الاستقامة.

والثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز وخير الأمور أوسطها.

والناس في الخوف على ثلاثة مقامات: فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من الأولى فإن الخاتمة مبنية عليها.

والرجاء على ثلاث درجات:

الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود.

والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور.

والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن وهذا حرام.

والناس في الرجاء على ثلاث مقامات:

فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبًا فيه وشوقًا إليه.

والرضاء بالقضاء

ومنه اليقين. قال ﷺ: «**اليقين الإيمان كله**» رواه البيهقي في الزهد وغيره وصححوا وقفه. وروى البزار حديث «**خمس من الإيمان من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له: التسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتوكل على الله والصبر عند الصدمة الأولى**». وقال ﷺ: «**من سعادة ابن آدم إستخارة الله ورضاه بما قضى الله، ومن شقاوته ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله**» رواه الترمذي.

التوبة

قال الله تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: 31]. فالتوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال لا من حيث أضر ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم ألا يعود إليها أبدًا، ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزمًا مجددًا.

وآدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والاكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات.

ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات.

والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم المقام، وشكر على الإنعام، ونظمتها فقلت:

خوف رجاء هوى فيه مراقبة تعظيمه شكر إنعام مع الخجل

الوفاء

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة : 1] . وقال سبحانه : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل : 91] وقال ﷺ : «**حسن العهد من الإيمان**» رواه الترمذى .

تواضعٌ ورحمـــةُ الصـــغير	منه وتوقـــيرُك للكبـــير(1)
والعُجبَ والكبرَ الذميم اجتنـب	واترك لحقد حسد وغضب(2)

1- **التواضع:** وفيه رحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، وترك العجب والكبر . قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان**» رواه مسلم .

وقال ﷺ : «**من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا**» رواه البخارى فى الأدب ، وأبو داود والترمذى . وفى لفظ له «**ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر**» ، وفى لفظ عند أحمد «**ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**» .

2- وروى الطبرانى : حديث «**ثلاثة لا يستخف بهن إلا منافق :ذو الشيبة فى الإسلام وذو العلم وإمام مقسط**» وروى أيضًا : «**ثلاث مهلكات :شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه**» .

وروى الحاكم وغيره أحاديث : «**أهل النار كل جعظرى جواظ[1] مستكبر وما من رجل يتعظم فى نفسه ويختال فى مشيته إلا لقى الله وهو عليه غضبان**» .

ويقول الله تعالى : ﴿**الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما أدخلته جهنم**﴾ وفى لفظ «**قصمته**» .

وترك الحقد: قال ﷺ : «**إن النميمة والحقد فى النار لا يجتمعان فى قلب مسلم**» رواه الطبرانى ، وقال : «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه**» رواه الإمام أحمد .

وترك الحسد: قال ﷺ : «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» رواه أبو داود ، وقال : «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**» رواه مسلم ، وقال : «**دب إليكم**

(1) الجظ والجواظ : الطويل الجسيم الأكول الشروب البطر الكفور وهو الجعظار أيضًا (لسان العرب ماده جعب) .

داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي حالقة : حالقة الدين لا حالقة الشعر» رواه الترمذى .

وترك الغضب: قال ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» صححه الحاكم .

وروى الأصبهانى فى الترغيب حديث «لا يستكمل العبد إيمانه حتى يحسن خلقه ولا يشفى غيظه» وقد قال ﷺ لمن قال له أوصنى : «لا تغضب» رواه البخارى .

تعلُّم العــلمِ العظـــيمِ الشــان	تعليــــــمُه ، تلاوةُ الفرقـــان

وتعلم العلم وتعليمه:

قال ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» رواه الشيخان ، وقال : «خصلتان لا يجتمعان في منافق ؛ حسن سمت وفقه في الدين» رواه الترمذى . وقال : «لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه» رواه الطبرانى . وقال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» . وقال : «تكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً إلا من أحياه الله بالعلم» رواهما ابن ماجة . وقال : «من سئل عن علم فكتمه ألْجَمَهُ الله يوم القيامة بلجام من نار» رواه الترمذى وصححه الحاكم .

تلاوة القرآن:

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:32] . وقال ﷺ : «اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه» رواه مسلم . وسُئل أى الأعمال أفضل؟ فقال : «الحالّ المرتحل» قيل ومن هو : قال : «صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره وفى آخره حتى يبلغ أوله» وقال : «أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن» رواهما البيهقى وروى أحمد وغيره حديث : «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» .

والنطـق بالتوحـــيد ، والدعـــاءُ	والذكر الاســـتغفار والحيـــاء

والنطق بالتوحيد: قال ﷺ : «جددوا إيمانكم» قيل : يا رسول الله ﷺ كيف نجدد إيماننا؟ قال : «أكثروا من قول لا إله إلا الله» . وفى حديث الشعب : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» رواه الشيخان .

قال الله تعالى : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:163] الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة فى حق الله تعالى :

أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد .

والآخر: أنه لا شريك له .

والثالث: أنه لا يتبعض ولا ينقسم .

وقد فسر المراد به في هذه الآية بقوله : ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [البقرة: 163] .

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات :

الأولى: توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد والصاحبة والأولاد والأشباه والأضداد .

الثانية: توحيد الخاصة وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله تعالى وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن ويحصل المقام الخاص في التوحيد بعلم ضروري في القلب لا يحتاج إلى دليل . وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه وحده وإطراح جميع الخلق فلا يرجو إلا الله ولا يخاف أحداً سواه، إذ ليس يرى فاعلاً إلا إياه، ويرى جميع الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب .

والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات حتى كأنها عنده معدومة، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه وعن توحيده أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله جل شأنه .

والدعاء:

قال ﷺ : «**الدعاء: هو العبادة**» ثم قرأ هذه الآية : ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ! إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: 60] .

والذكر وفيه الاستغفار قال ﷺ : «**أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله**» رواه الإمام أحمد والبيهقي . قال الله تعالى : ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: 152]، قال سعيد بن المسيب : اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وقيل :

اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوهما، وهذه الآية بيان لشرف الذكر، وبينه ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم**».

والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب وذكر باللسان وبهما معًا واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة وإن ورد فى بعض الأحاديث تفضيل غيره عليه من الأعمال كالصلاة وغيرها فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله تعالى**» قيل الذكر أفضل أم الجهاد فى سبيل الله؟ فقال: «**لو ضرب المجاهد بسيفه فى الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه**».

الثانى: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذكر اشترط فيه الكثرة فقال: ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 41]، ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 35] ولم يشترط ذلك فى سائر الأعمال.

الثالث: أن للذكر مزية هى له خاصة وليست لغيره، وهى الحضور فى الحضرة العلية والوصول إلى القرب بالذى عبر عنه ما ورد فى الحديث من المجالسة والمعية فإن الله تعالى يقول: «**أنا جليس من ذكرنى**». ويقول: «**أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى**».

وللناس فى المقصد بالذكر مقامان فمقصد العامة اكتساب الأجور ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما بين المقامين بون بعيد، فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب.

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة فمنها التهليل والتسبيح والتكبير والحمد والحوقلة والحسبلة وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى والصلاة على النبى ﷺ وآله، والإستغفار وغير ذلك ولكل ذكر خاصيته وثمرته.

أما التهليل فثمرته التوحيد أعنى التوحيد الخاص وأما التوحيد العام فلكل مؤمن .

وأما التكبير فثمرته التعظيم والإجلال لذى الجلال .

وأما الحمد والأسماء التى معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذاك فثمرتها ثلاثة مقامات وهى الشكر وقوة الرجاء والمحبة فإن المحسن محبوب لا محالة .

وأما الحوقلة والحسبلة فثمرتها التوكل على الله والتفويض إلى الله والثقة بالله .

وأما الأسماء التى معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك فثمرتها المراقبة .

وأما الصلاة على النبى ﷺ فثمرتها شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته .

وأما الاستغفار فثمرته الاستقامة على التقوى والمحافظة على شروط التوبه مع إنكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة .

ثم إن ثمرة الذكر التى تجمع الأسماء والصفات مجموعة فى الذكر المفرد وهو قولنا الله الله فهذا هو الغاية وإليه المنتهى . ابن جزى .

والحياء: قال ﷺ : «**الحياء والعِيُّ**[1] **شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**» رواه الترمذى وغيره وصححه الحاكم .

والفرض والنفل من الصلاة	فك الرقاب الفرض من زكاة

والصلاة فرضا ونفلاً **والزكاة** كذلك .

روى الشيخان وغيرهما عن ابن عباس أنه ﷺ قال لوفد عبد القيس : «**أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**» .

وَرَوَيا عن ابن عمر أنه ﷺ قال : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا**

---

(1) العى ، والمقصود به عى اللسان لاعى القلب : ضد البيان لما فيه التخلل والتزيد فى الحديث مما لا يخلو من النفاق .

الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا قالوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم» .

وقال ﷺ : «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» رواه مسلم . وفى لفظ «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» صححه الحاكم . وروى الطبرانى حديث «إن للإسلام صُوى وعلامات كمنار الطريق ،ورأسه وجماعه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتمام الوضوء» . وفى صحيح مسلم «الصلاة نور والصدقة برهان» أى دليل على إيمان صاحبها .

وفك الرقاب:

قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: 177] .

وروى الشيخان حديث «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجها» .

والجود والصوم الرفيع القدر	والاعتكاف والتماس القدر

الجود: وفيه الإطعام للطعام والضيافة .

روى أحمد عن عمرو بن عبسة قال : قلت يا رسول الله ما الإيمان؟ قال : «الصبر والسماحة» . وروى أبو ليلى مثله عن جابر ، وروى من حديث أنس : «ما محق الإسلام محق الشح شيء» .

وروى الترمذى حديث «خصلتان لا تجتمعان فى المؤمن البخل وسوء الخلق» . وفى الصحيح أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير؟ قال : «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» . وفيه : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» .

والصوم فرضًا ونفلاً:

قال ﷺ : «بُنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » رواه الشيخان ، وقال : «أسهم الإسلام ثلاثة الصلاة والصوم والزكاة» رواه الإمام أحمد . وروى ابن أبي ليلى حديث «عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان» . وفي صحيح مسلم «الصيام جنة» أي وقاية من النار .

والاعتكاف:

روى ابن حبان في صحيحه وغيره حديث «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» . وإن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة : 18] .

والتماس ليلة القدر:

أي طلبها في ليالي رمضان لإجيائها للأمر به في الأحاديث الصحيحة .

وفي الصحيحين : « من قام ليلة القدر إيمانًا غفر له ما تقدم من ذنبه» قال الصفوي في تفسيره والأصح أنها من خصائص هذه الأمة وأنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وأنها في أوتارها وأنها تختلف في السنين جمعًا بين الأحاديث .

ولا خلاف بين السلف أنها باقية إلى يوم القيامة سُميت بها لأنها ليلة تقرير الأمور والأحكام إلى السنة المقبلة أو لمنزلتها وقدرها عند الله .

وترك لغـو رحمـة توكـل — وستر عورة وطهـر يجـمل

وترك لغو:

قال الله تعالى في صفات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: 55] وهو شامل لكل كلام فاحش كالنميمة والغيبة والكذب واللعن والطعن والفحش في القول . وفي الصحيحين : «لا يدخل الجنة نمام» .

وقال تعالى في الغيبة : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: 12] .

وقال ﷺ : «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب» رواه الإمام أحمد وقال : «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء» رواه الترمذي وغيره وصححه الحاكم . وفي الصحيحين «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .

الرحمة:

قال ﷺ : «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**» رواه البخارى فى الأدب وغيره. وقال: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» رواه الشيخان. وقال: «**لا يدخل الجنة إلا رحيم**» قيل يا رسول الله كلنا يرحم قال: «**ليس أن يرحم أحدكم صاحبه إنما الرحمة أن يرحم الناس**» رواه البزار.

التوكل:

قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران: 122] وقال ﷺ : «**الطيرة شرك وما منا. إلا أن الله يذهبه بالتوكل**» وقال: «**الرقى والتمائم والتولة شرك**» وقال: «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**» رواها أبو داود وغيره.

والتميمة: ما يعلق على الصغيرة. والتولة: ما يحبب الرجل فى امرأته، والعيافة: التكهن. والطرق: الضرب بالحصى والخط فى التراب. والجبت: السحر.

قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [آل عمران: 159].

والتوكل: هو الاعتماد على الله فى تحصيل النافع أو حفظها بعد حصولها وفى دفع المضرات أو رفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات لوجهين أحدهما قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: 159]. والآخر الضمان الذى فى قوله: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: 3].

وقد يكون واجبًا لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: 23] فجعله شرطًا فى الإيمان وقوله جل جلاله: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران: 122] فإن الأمر محمول على الوجوب.

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاث مراتب:

الأولى: أن يعتمد الإنسان على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذى لا يشك فى نصحيته له وقيامه بمصالحه.

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها.

والثالثة: أن يكون العبد مع ربه كالميت بين يدى الغاسل قد أسلم نفسه إليه بالكلية .

وصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية . وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة . وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى تكلمنا عليه فى التوحيد فهى تقوى بقوته وتضعف بضعفه . فإن قيل هل يشترط فى التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب أن الأسباب على ثلاثة أقسام :

أحدها: سبب معلوم قطعًا قد أجراه الله تعالى فهذا لا يجوز تركه كالأكل لدفع الجوع واللباس لدفع البرد .

والثانى: سبب مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك فهذا لا يقدح فعله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب لا من أعمال البدن ، ويجوز تركه لمن قوى عليه .

والثالث: سبب موهوم بعيد فهذا يقدح فعله فى التوكل .

ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فإن المتوكل له مراد واختيار وهو يطلب مراده باعتماده على ربه ، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى فهو أكمل أدبًا مع الله تعالى .

سترة العورة:

قال ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار**» رواه الترمذى وغيره . وروى أيضًا عن معاوية بن حيدة قال : «قلت : يا رسول الله عورتنا ما نأتى منها وما نذر . قال : «**احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك**» فقال : الرجل مع الرجل قال : «**إذا استطعت ألا يراك أحد فافعل**» قال : فالرجل يكون خاليًا قال : «**الله أحق أن يستحيا منه**» .

الطهر:

وفيه إجتناب النجاسات أى التطهير حسًا بالوضوء وإزالة النجاسة وحكمًا بإزالة الشعر والظفر والريح الكريهة والختان .

قال ﷺ : «**الطهور شطر الإيمان**» رواه مسلم ، وفي لفظ عند النسائي وابن ماجة «**إسباغ الوضوء**» وقال : «**لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» وصححه ابن حبان وقال : «**الفطرة خمس : الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأضافر ونتف الإبط**»

رواه الشيخان .

وقال : «**إن الله طيب نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم**» رواه الترمذي وابن ماجه ولفظه «**تنظفوا فإن الإسلام نظيف**» .

وحجه طوافــــه والعمــــرة	فراره بالدين فيــه الهجــرة

الحج والعمرة فرضا ونفلاً :

قال تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]، وتقدم في حديث «**بني الإسلام على خمس**» عدَّ الحج منها .

وروى البزار وغيره حديث «**الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم والصلاة سهم والزكاة سهم، وحج البيت سهم والصيام سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم والجهاد في سبيل الله سهم وقد خاب من لا سهم له**» . وروى ابن حبان في صحيحه حديث أبي سعيد الخدري «**إن الله تعالى يقول إن عبدا صححت له جسمه ،ووسعت عليه في معيشته تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليَّ لمحروم**» .

الطواف:

لأنه بمنزلة الصلاة بل فضله قوم عليها وفي المستدرك حديث «**الطواف بالبيت صلاة**» .

الفرار بالدين

وفيه الهجرة من دار الكفر والفسق إلى دار الإسلام . روى أحمد عن عمرو بن عبسة قال : قال رجل يا رسول الله أي الإيمان أفضل؟ قال «**الهجرة**» قال : وما الهجرة؟ قال : «**أن تهجر السوء**» قال : فأي الهجرة أفضل؟ قال : «**الجهاد**» .

وفاء نذر والتحرى فى قسم	كفارة يبغى رضاء من قسم

الوفاء بالنذر:

قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: 7].

التحرى فى قسم:

أى الأيمان بحفظها والحلف بما يجوز الحلف به. قال الله تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89]. وقال ﷺ : «**من حلف على يمين صبراً يقتطع بها مال امرىء مسلم لقى الله وهو عليه غضبان**» رواه الشيخان. وقال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» رواه أبو داود والترمذى وصححه الحاكم.

أداء الكفارات:

لأنها من الأمانة إذ هى من حقوق الله تعالى، وفى حديث الصحيحين «**دين الله أحق بالقضاء**».

تزوج النساء والرجال	لعفة والسعى للعيال

التعفف بالنكاح:

قال ﷺ : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» وقال: «**إنى أنام وأقوم وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**» رواهما الشيخان.

وروى الترمذى وغيره: «**أربع من سنن المرسلين الختان والتعطر والسواك والنكاح**».

السعى للعيال:

قال ﷺ : «**ابدأ بمن تعول** رواه الشيخان وقال: «**أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله**» رواه مسلم.

وقال: «**كفى بالرجل إثماً أن يضيع من يعول**» رواه أبو داود وعند مسلم معناه.

تربية الأولاد بر الولد	وطاعة العبد ورفق السيد

تربية الأولاد:

قال ﷺ : «**من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة**

ألبتة» رواه البخارى فى الأدب، وروى أبو داود والترمذى حديث «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة**». وروى الترمذى حديث: «**لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع**». وحديث «**ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن**». وروى البخارى فى الأدب عن ابن عمر أنه قال: «إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والبنين كما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق».

«**لطيفة**» من قواعد الشرع أن الوازع الطبيعى يغنى عن الوازع الشرعى مثاله: شرب البول حرام وكذلك الخمر ورتب الحد على الثانى دون الأول لنفرة النوس منه فوكلت إلى طباعها.

والوالد والولد مشتركان فى الحق، وبالغ الله تعالى فى كتابه العزيز فى الوصية بالوالدين فى مواضع دون الولد وكولاً إلى الطبع لأنه يقضى بالشفقة عليه ضرورة.

بر الوالدين:

قال الله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: 23] الآيتين. وروى الشيخان عن ابن مسعود قال: «قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة لوقتها**» قلت: ثم أى؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أى؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**». روى الترمذى وغيره حديث «**رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد**».

وطاعة العبد سادته:

روى البخارى وغيره حديث: «**إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله الأجر مرتين**».

والرفق بالعبيد:

قال ﷺ: «**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يُكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه**» رواه الشيخان، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مسيء الملكة**» وسأله رجل كم أعفو عن الخادم؟ فقال: «**كل يوم سبعين مرة**» رواهما الترمذى وغيره، وروى البخارى فى الأدب وغيره عن

على كان آخر كلام النبى ﷺ : «الصلاة الصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم» . وروى الحاكم وغيره حديث «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله» .

وحكمه بالعدل ، والجماعه	لازمة ، وللولاة الطاعة

والقيام بالأمر مع العدل:

لأنها من مصالح الأمة وقال تعالى : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]. وفى الصحيحين حديث «السبعة يظلهم فى ظل عرشه إمام عادل . . . .» إلى آخر الحديث، وروى البزار حديث «للإسلام علامات كمنار الطريق : شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحكم بكتاب الله وطاعة النبى الأمى ﷺ والتسليم على بنى آدم» .

ومتابعة الجماعة:

روى الترمذى والنسائى حديث «آمركم بخمس الله أمرنى بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع» .

طاعة أولى الأمر:

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59]، وفى الحديث السابق طاعة أولى الأمر .

وروى أبو داود وغيره حديث : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ولو لعبد حبشى» وروى الطبرانى بسند ضعيف «الإسلام عشرة أسهم : شهادة أن لا إله إلا الله وهى الملة والثانية الصلاة وهى الفطرة والثالثة الزكاة وهى الطهرة والرابعة الصوم وهى الجُنة والخامسة الحج وهى الشريعة والسادسة الجهاد وهى العروة والسابعة الأمر بالمعروف وهى الوفاء والثامنة النهى عن المنكر وهى الحجة والتاسعة الجماعة وهى الألفة والعاشرة الطاعة وهى العصمة» .

كذلك الاصلاح بين الناس	حرب البغاة فيه والأرجاس
وصلة الأهل مع الأمانه	والخمس منها فاحذر الخيانة

الإصلاح بين الناس وفيه قتال الخوارج والبغاة:

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: 9-10] .

وصلة الأهل أى الرحم:

قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**» رواه الشيخان .

وأداء الأمانة ومنها الخمس من المغنم:

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58] . وقال ﷺ : «**لا إيمان لمن لا أمانة له**» رواه الإمام أحمد .

وقال : «**المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**» صححه الحاكم وتقدم حديث، «**يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة**» وروى الطبرانى حديث «**ناصحوا فى العلم فإن خيانة أحدكم فى علمه أشد من خيانته فى ماله**» . وقد تقدم فى حديث وفد عبد القيس أن النبى ﷺ قال لهم : «**أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**» رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس .

تعاون فى البر والصلاح	كالأمر والنهى مع الإصلاح
والقرض والوفاء بالتمام	حسن الجوار ،الرد للسلام

والتعاون فى البر:

ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال الله تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى** » وقد مر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الأحاديث . وروى مسلم حديث «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» .

والقرض:

لأنه إعانة على كشف كربة.

ووفاء القرض:

لأنه من الأمانة وفى صحيح مسلم حديث «**خياركم أحسنكم قضاء**».

وإكرام الجار:

قال ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**» رواه الشيخان. وروى الترمذى حديث «**أحسن إلى جارك تكن مؤمناً**».

ورد السلام:

قال تعالى: ﴿ وإذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: 86] وفى الأحاديث الصحيحة الأمر به، وورد عده من الإيمان فى حديث البزار «**ثلاث من الإيمان: الإنفاق من الإكثار وبذل السلام والإنصاف من نفسك**». رواه الطبرانى بلفظ «**من جمعهن فقد جمع الإيمان**».

وترك لهو واكتساب المال	من طرق مشروعة حلال
إنفاقه في حقه ومن غدا	مبذرًا أو مسرفًا يلق الردى

إجتناب اللهو:

قال ﷺ : «**لست من دد ولا الدد منى**» وقال: «**الأشرة شر**» رواهما البخارى فى الأدب فى باب اللهو، والدد: اللهو الباطل، والأشرة: العبث، وقال ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**﴾ [لقمان: 6] قال: الغناء وأشباهه، وروى ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى حديث «**الغناء ينبت النفاق فى القلب**» وفى مسند البزار بسند صحيح «**عليكم بالرمى فإنه من خير لهوكم**».

وفيه أيضًا بسند صحيح «**كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو سهو ولغو إلا أربعًا مشى الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله وتعليمه السباحة**» وعند ابن ماجة نحوه والطبرانى.

واكتساب المال من حله:

قال ﷺ : «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق**» رواه الترمذى وصححه وابن ماجة ، وقال ﷺ : «**أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب . خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم**» رواه ابن ماجة .

إنفاق المال فى حقه:

وفيه ترك التبذير والسرف . قال ﷺ : «**إن الله كره لكم إضاعة المال**» رواه الشيخان .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ [سبأ: 39] قال : فى غير إسراف ولا تقتير . وفى قوله تعالى : ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾ [الإسراء: 26] الآية . «التبذير إنفاق من غير حق» رواهما البخارى فى الأدب .

تشميت عاطس وكف الضرر	عن العباد خيفة المقتدر

وتشميت العاطس:

قال ﷺ : «**حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام وتشميت العاطس . .**» الحديث رواه الشيخان ، وفى لفظ لمسلم «**حق المسلم على المسلم ست : إذ لقيته فسلم عليه ، وإذا عطس فحمد الله فشمته . . .**» الحديث . وروى البخارى حديث «**إذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله**» .

وكف الضرر عن العباد:

قال ﷺ : «**لا ضرر ولا ضرار**» رواه الدارقطنى وغيره .

وفى الجهاد والرباط للعدا	ما يحفظ الدنيا ويبقى للهدى
وإن فى إقامة الحدود	المنع من تجاوز الحدود

والجهاد وفيه المرابطة:

الجهاد تقدم فى عدة أحاديث ، وأما المرابطة فقال ﷺ : «**كل ميت يختم على عمله إلا من مات مرابطاً فى سبيل الله فإنه ينمى عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر**» رواه الترمذى .

إقامة الحدود:

قال الله تعالى : ﴿وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النور:2]. وقال ﷺ : «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» رواه الشيخان . وقال : «إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله» وقال : «أقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم» رواه ابن ماجة .

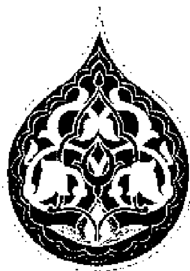
إماطة الأذى عن الطريق	والحمد لله على التوفيق

وإماطة الأذى عن الطريق:

قال ﷺ : «الإيمان بضع وستون شعبة أو وسبعون شعبة. فأرفعها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» رواه مسلم . والحمد لله على التوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم



خاتمة

يا صاح إن العلم أس العمل	وما عملت دونه لم يقبل
وغاية العلم به أن تعملا	يا خسر من لعلمه قد أهملا
وعالم ذو عمل صغير	خير من الجاهل ذى الكبير
وإن من أحيا به عباده	فضّله عن سنن العباده

العلم أس العمل فلا يصح عمل دونه:

وغاية العلم العمل به فلا ينفع علم بلا عمل بل يضر . قال ﷺ : «**كل علم وبال على صاحبه يوم القيامة إلا من عمل به**» رواه الطبراني ، والعالم ولو قل عمله خير من الجاهل ولو كثر عمله لأن من عمل بلا علم كان فساده أكثر من صلاحه ، فمن أجل ذلك كان العلم كما قال الشافعي رضي الله عنه أفضل من صلاة النافلة لأنه فرض عين أو كفاية والفرض أفضل من النفل . «**وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إليّ مما أفترضته عليه**» .

وقال ﷺ : «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» وقال : «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**» رواهما الترمذي وغيره .

وقال : «**فضل العلم أحب إلى الله من فضل العبادة**» رواه الحاكم ، وفى لفظ عند الطبراني «**قليل العلم خير من كثير العبادة**» وكفى بالمرء فقها إذا عبد الله وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه ، وفى لفظ عنده «**يسير الفقه خير من كثير العبادة**» .

وفى صحيح مسلم : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له**» وفى لفظ لإبن ماجة «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً نشره**» . وكان ﷺ يدعو : «**اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع**»

رواه الحاكم وغيره .

وأفضل العلم علم أصول الدين لتوقف أصول الإيمان أو كماله عليه ، فالتفسير لتعلقه بكلام الله تعالى أشرف الكلام ، فالحديث لتعلقه بكلام النبى ﷺ ، فالأصول وقدم على الفقه لشرف الأصل على الفرع .

فالفقه أشرف من غيره للأحاديث السابقة فالآلات من النحو والصرف واللغة

والمعانى وغيرها على قدرها فى الحاجة إليها فالطب يليها - فى الفضيلة وهو من فروض الكفاية .

والفضـل للكـثير من صـلاة	على الطواف الجم ذى الصلات
وفضـله عن غيـره لا يجهـل	والنفل فى البيت وليلاً أفضـل

فضل الصلاة على الطواف:

والصلاة أفضل من الطواف وسائر العبادات على الأصح لحديث «**خير أعمالكم الصلاة**» . رواه الحاكم وغيره . ولأنها تجمع من القرب مالا يجمع غيرها : من الطهارة واستقبال القبلة والقراءة وذكر الله تعالى والصلا ة على رسول الله ﷺ ويمنع فيها كل ما يمنع فى غيرها وتزيد بالمنع من الكلام والمشى وغيرها وقيل الصوم أفضل لحديث الصحيحين «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به**» .

وقيل : الطواف أفضل منها ، وقيل : للغرباء . وقيل : الحج أفضل لإجهاده البدن ولأنا دعينا إليه فى الأصلاب فأشبه الإيمان ولأنه لا يتصور وقوعه نفلاً إذ تحية الكعبة به فرض كفاية فكل من قام به ففعله موصوف بالفريضة . وقيل : الصلاة أفضل بمكة والصوم أفضل بالمدينة ، والكلام فى الإكثار أى فيمن أراد الاستكثار من نوع واحد ، ويكون غالبًا عليه ويقتصر من الآخر على المتأكد منه -أى المذكور من الصلاة والطواف أفضل له ، وإلا فصوم يوم أفضل من ركعتين بلا خلاف ، وكذا عمرة أفضل من طواف واحد لاشتمالها عليه وزيادة . نبه على ذلك الإمام النووى فى شرح المهذب والمحب الطبرى وقد أشرت إلى ذلك بقولى :

والفضـل للكـثير من صـلاة ... على الطواف الجم ذى الصلات

الطواف أفضل من غيره من العبادات ماعدا الصلاة حتى من العمرة .

روى الأزرق أن أنس بن مالك قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله الطواف أفضل أم العمرة؟ فقال : الطواف . وقيل : العمرة أفضل منه وهو خطأ ظاهر كما قال المحب الطبرى وأول دليل على مخالفته السنة فإنه لم ينقل تكرارها عن النبى ﷺ فَمَن بعده بل كره مالك وأحمد تكرارها فى العام ، وأجمعوا على استحباب

تكرار الطواف، وتنبه إلى ما قدمته قريبًا من أن الكلام فى الإكثار. . . . ألخ.

وأشرت بقولى: **والنفل فى البيت وليلاً أفضل** إلى أن صلاة النافلة فى البيت أفضل منها فى المسجد الحرام، ولو مسجد مكة والمدينة لحديث الصحيحين «**أيها الناس صلوا فى بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة**» قال الإمام السيوطى: وقيده الشيخ فى المهذب بتطوع النهار . وتعجب منه النووى فى شرحه وقال ابن السبكى فى الأشباه والنظائر: لعله أشار به إلى أنه فى البيت حيث يظهر فى المسجد أفضل لا حيث يخفى وهو حسن.

ونفل الليل أفضل من نفل النهار لحديث مسلم «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» ثم وسطه أى ثلثه الأوسط أفضل من طرفيه وآخره أفضل من أوله.

سُئل ﷺ أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ فقال: «**جوف الليل**» رواه مسلم، وقال: «**أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه**».

وقال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول: من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له**» رواهما الشيخان.

فضل الصلاة فى مسجد مكة:

حُسب ثواب صلاة فى مسجد مكة بثواب صلاة فروض خمسة وخمسين عاما وستةشهور وثلاث أسابيع تقريبًا، وعلى ذلك يكون ثواب صلاة فروض يوم كامل بمسجد مكة بثواب صلاة مائتين وسبع وسبعين عامًا وتسعة شهور وأسبوعين تقريبًاوذلك على أساس أن السنه ثلاثمائة وستون يوماً .

وأفضل الذكـر كتـــاب الله	فاشغف به واقرأه غير لاهــى
وما استـــبنت قارئا معنـــــاه	يزيد عن مثليـــه من ســـواه
واقرأه فى الكتاب فهو أفضل	والجهـر إن تأمن رياء أكمـــل

القرآن أفضل من سائر الذكر:

روى البزار فى مسنده: «**من شغله قراءة القرآن عن دعائى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين**». وروى الترمذى حديث «**ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه**». وروى

البيهقى فى شعب الإيمان حديث «**قراءة القرآن فى الصلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير صلاة. وقراءة القرآن فى غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير**».

وقراءة شىء من القرآن بتدبر وفهم أفضل من قراءة مثليه دونهما قال الله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص: 29].

وقال تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: 4]. وروى الشيخان عن أبى وائل قال: غدونا على عبد الله فقال رجل: قرأت المفصل البارحة فقال: هذاً كهذّ الشّعر. وروى الإمام أحمد عن عائشة أنه ذكر لها أن أناسًا يقرءون القرآن فى الليل مرة أو مرتين فقالت: «أولئك قرءوا ولم يقرءوا، كنت أقوم مع النبى ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه».

وروى الترمذى وغيره حديث «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**».

وروى أبو عبيد عن أبى حمزة قال: قلت لابن عباس: إنى سريع القراءة فقال: لأن أقرأ البقرة فى ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلىّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة(1). وروى أصحاب السنن حديث «**لا يفقه من يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث**».

وروى البخارى عن أنس قال: «**كانت قراءة النبى ﷺ مداً**».

وروى أبو داود والترمذى والنسائى عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ **قراءة مفسرة حرفًا حرفًا**.

القراءة فى المصحف:

أفضل منها عن ظهر قلب لأن النظر فيه عبادة حتى كره جماعة من السلف أن يمضى على الرجل يوم ولا ينظر فى مصحفه، وروى أبو عبيد حديث «**فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة**» وإسناده ضعيف. وفى

---

(1) الهذرمة: الإسراع فى القراءة أو الكلام.

الشعب للبيهقى بأسانيد ضعيفة «قراءة القرآن فى غير المصحف ألف درجة وقراءته فى المصحف تضعف ذلك إلى ألفي درجة» وحديث «أعطوا أعينكم حظها من العبادة» قالوا: وما هو؟ قال: «النظر فى المصحف». وفيه بسند صحيح موقوفًا على ابن مسعود «أديموا النظر فى المصحف».

فضل الجهر بالقراءة:

والجهر بقراءة القرآن أفضل من الإسرار بها حيث لا رياء يخاف لأن نفعه متعد للسامعين، وأما إذا خاف الرياء فالإسرار وعليه يحمل حديث الترمذى «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة».

ومطلق الأذكار من دعاه	أفضل إلا ما قد استدعاه

تقدم أن قراءة القرآن أفضل من الذكر والدعاء، وذكرت هنا أن مطلق الأذكار أفضل من الدعاء حيث لم يشرع وكذلك الذكر أيضًا فهو أفضل اتباعًا لتسبيح الركوع والسجود والدعاء فى أعقاب الصلوات وقد تقدمت بعض الأحاديث الدالة على ذلك.

وروى الترمذى وحسنه عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه».

وفضل السكوت عن كلام	إلا بحق فارع للمقام

السكوت أفضل من التكلم: ولو استوت مصلحتهما إلا فى حق. قال رسول الله ﷺ: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكراً لله تعالى» وقال: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، وإن أبعد الناس عن الله القلب القاسى». وقال: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تفكر اللسان فتقول له: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا». وقال لعقبة بن عامر وقد سأله النجاة «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك».

وقال لسفيان وقد سأله ما أخوف ما تخاف على: «هذا وأخذ بلسانه».

وقال أنس رضي الله عنه توفى رجل فبشره رجل بالجنة فقال ﷺ: «أو لا تدرى فلعله تكلم

بما لا يعنيه» رواها كلها الترمذي وغيره ، وفي الصحيحين «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» .

وروى البخاري حديث «**من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة**» وقوله ما يتبين أي مايتفكر في أنها خير أم لا . والمستثنى في الحديث الأول هو المراد بقولي : إلا بحق أي إلا بأمر بمعروف أو نهي عن المنكر أو ذكر لله تعالى .

وإن تخالط صابراً فحبذا	وإن تخف إساءة لا حبذا

أشرت بهذا البيت إلى أن مخالطة الناس وتحمل أذاهم أفضل من اعتزالهم . قال ﷺ : «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**» رواه البخاري في الأدب وغيره .

واعتزال الناس من حيث يخاف الفتنة في دينه بموافقتهم على ما هم عليه أفضل وعليه يحمل حديث عقبة السابق «**وليسعك بيتك**» وحديث البخاري «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**» وحديث الصحيحين «**أي الناس أفضل؟**» قالوا : من جاهد بماله ونفسه قال : «**ثم من؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «**ثم مؤمن يعتزل الناس في شعب يتقي ربه ويدع الناس من شره**» .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العزلة حديث «**إن أعجب الناس إليَّ رجل يؤمن بالله ورسوله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويحفظ دينه ويعتزل الناس**» .

روى البيهقي في الزهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا : «**يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر . فإذا كان ذلك الزمان لم تُنل المعيشة إلا بسخط الله تعالى فإذا كان كذلك كان هلاك الرجل على يدي زوجته وولده وإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يدي أبويه فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي قرابته أو الجيران**» قالوا : كيف ذلك يا رسول الله؟ قال : «**يعيرونه بضيق المعيشة فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها نفسه**» .

وخير ما ترزقه الكفاف	فاقنع به فحبذا العفاف

أشرت بهذا البيت إلى أن الكفاف أفضل من الفقر والغنى . قال ﷺ : «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما رزقه**» وقال : «**طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا**

وقنع به» وقال: «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافًا». روى الأول والأخير مسلم والثانى الترمذى.

وروى أيضًا حديث: «إن أغبط أوليائى عندى المؤمنُ خفيفُ الحاذ ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر وكان غامضًا فى الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافًا فصبر على ذلك» وروى مسلم حديث «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف» وقيل: الفقر مع الصبر أفضل- ففى الصحيح: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام».

وعند الترمذى «اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينًا احشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة». وقيل الغنى مع الشكر أفضل لحديث الصحيحين «ذهب أهل الدثور بالأجور».

ولا ينافى الكسب للتوكل	فجد وأرض قسمة الموكَّل
ولا ينافى خزن قوت السَنة	توكلا كما أتى فى السُّنة
وقد أقام الله للأنام	على الذى هم فيه للنظام

التوكل والكسب وأيهما أفضل:

فضَّل قومٌ التوكل على الاكتساب بالإعراض عن أسبابه، واعتماد القلب على الله تعالى. وعكس قوم ففضلوا الاكتساب على تركه، وفصَّل آخرون باختلاف الأحوال: فمن يكون فى توكله لا يتسخط عند ضيق الرزق عليه ولا يتطلع إلى سؤال أحد من الخلق فالتوكل فى حقه أفضل لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس، ومن يكون فى توكله بخلاف ما ذكر فالاكتساب فى حقه أفضل حذرا من التسخط والتطلع.

قال الإمام السيوطى: أنه لا ينافى التوكل الكسب بل يكون مكتسبًا متوكلاً بأن يرضى بما قسم له ولا يتطلع إلى أكثر منه. وقد قال عمر رضي الله عنه لقوم قعدوا وادعوا التوكل: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذى يلقى بذره فى الأرض ويتوكل. رواه البيهقى. وفى رسالة القشيرى عن سهل بن عبد الله: التوكل حال النبى ﷺ والكسب سنته فمن قوى على حاله فلا يتركن سنته. ويقرب من ذلك حديث «أدع ناقتى وأتوكل فقال: «أعقلها وتوكل». ولا ينافيه أيضًا ادخار قوت سنة فقد كان ﷺ

يدخر قوت عياله سنة كما فى الصحيحين وهو سيد المتوكلين .

وكلٌّ من الخلق أقامه الله على ما يريد سبحانه من الحال التى هو عليها من كسب وترك وعلم وعمل وارتفاع وانخفاض وغير ذلك لإنتظام الوجود إذ لو ترك الناس كلهم الكسب لتعطلت المصالح والمعايش ولما تفاوتت المراتب فى الدنيا والآخرة . لا راد لقضائه بالدفع ولا معقب لحكمه بالنقض سبحانه وتعالى والحمد لله وحده .

سبحـــــانه نسأله الهـــدايه　　　وحبه والخـــــير فى النهـــايه

لابن الخطيب والحبيـــب والعدا　　　والحمد لله على خير الهـــدى

ووافر الصــــلاة والتســـليم　　　على النبى المصطـــفى الكريم

وآله وســـــائر الأحبـــاب　　　ما دام ذكر الله فى كتـــاب

قد انتهيت بحمد الله وتوفيقه من شرح نقاية التصوف بعد عصر الجمعة الخامسة والربع 19 من شعبان المعظم سنة 1375 هـ والله المسؤل أن يمن علينا بالقبول، وأن يجعله شرحًا شارحًا لصدور قارئيه نافعًا بما فيه ويجعله حجة لنا عنده، ويشغلنا به عما سواه، ويكون لنا دنيا وآخرة، إنه على كل شيء قدير ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات180.182] .

يارب صـــل على طه وشيـــعته　　　مـــسلماً وأنلنا منـك رضـــوانا

واجعــــل خواتمنا خيراً وكلمتنا　　　عند الممات بك اللهـم إيمـــــانا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بدأته يوم الأربعاء بعد العصر 7 من شعبان، وختمته بعونه 19 من شعبان سنة 1375 هـ .

محمد خليل الخطيب

شاعر النبى ﷺ

نُقاية التصوف

نظم وشرح

فضيلة الشيخ الامام محمد خليل الخطيب

شاعر الرسول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

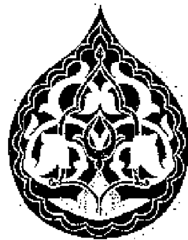
يقـــول عـــــبـدُ ربّه الخطيبُ   أحـــــمـــــدُ ربي وله أتوبُ
مُـصَلِيًـا مُـسَلِمًـا على الوَفي   نبـــيّنَا وآله والمُقْـــتَــفِي
وهذه نُقـــايةُ التــصَـوُّف   فيـا سَعيـدُ اعرف بها وعَرِفِ
والله أرجــو لي وللجـــلال   والمسلمين أحسَنَ الأحـــوالِ

❊ ❊ ❊ ❊

تفـــريغُكَ القلبَ لمَن سَـــوّاهُ   مَعَ احـــتِـقـارِ كُل مـا سِــواهُ
فَـجِــدَّ كُلَّ الجِـدِ في الطاعــاتِ   مُـبـــادرًا في سَائر الحـالاتِ
وابدأ بمفــروضٍ ودَع حَــرامًـا   وانبــذ هوًي واكـرم الكِرامَـا
وأنت في المُبــاح بالخِـيـــارِ   فـاسلُك به مسالِك الخِـيـارِ
ولازِمِ النَّفل تكن وجـيـهَـــا   دنيـا وأخـري واجتنب مكروها
ولا تفي من حـــقِّــه بذَرَّه   ولو لزمتَ مـا حَـيـيتَ أمـرَه
ولا تـري أقلَّ منكَ أحَـــدَا   حـتي تموتَ مـؤمنًا مُـوَحِّـدا
فـخَف رحيـمًـا ، وارجُهُ مراحِمَه   لاسِيَّـمـا الحُسني وحُسنَ الخـاتمه
فكم شكورٍ قـد قـضي كَـفُـورا   وكم كَـفـورٍ قـد قـضي شكورا
مَـا قـيـمَـةُ الأعـمـالِ والإرادَه   سـابقَـةُ بالنّحس والسَّـعـادَه
فـالغِــرُّ مَن يغــتَــرُّ أو يتكلُ   واللهُ قالَ يا عبـادي اعـمَلوا
وسَلِّم الأمــــرَ لِمَن دبَّرَهُ   فلن تري غـيـر الذي قـدَّرَهُ

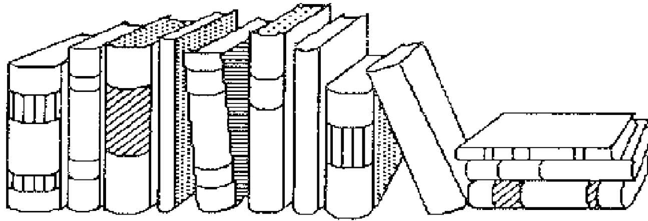
ولا تُراقِب غيرَ أمرِ الله … في خَلقه وُقيتَ شرَّ اللاهي
مُستحضراً أن الذي قضاهُ … مهما يكن لابُدَّ أنْ تراهُ
وأنت مِلكُ الله، والمملوكُ … يختارُ ما يختاره المليكُ
وأنت مُذ وُلدتَ جِدٌّ ساري … للمُنتَهي في الليل والنهار
فحمِّلِ الفانيَ نحوَ الباقي … وافنَ الفناءَ كله في الباقي
هذا .وإنّ كاملَ الإيمان … من فيه تمت شُعَبُ الإيمان
وَينقُصُ الإيمانُ قدر الناقصِ … فارغب إليه في اليقين الخالصِ
بِضْعٌ وسبعونَ بإخبارِ الخبر … وهاكها كما ارتضاها ابنُ حجر
مفتاحُها الإيمان بالديَّان … ونعتِه الواردِ في القرآن
وكُتبِه ورُسله وبالقَدَر … والبَعثِ والأملاك عزَّ مَن قَدرْ
محبَّةُ الله، وحُبّ فيه … كذلك البغضُ لِمَن يَشنيه
وحُبُّ طَه، واعتقادُ رفعته … صلاتُنا عليه، قفوُ سُنَّته
كذلك الإخلاصُ باتفاق … تركُ الرِّياءِ منه والنفاق
صبرٌ، وشُكر خوفُه رجاءُ … رِضا القضاءِ توبَةٌ وَفاءُ
تواضعٌ ورحمةُ الصَّغيرِ … منه، وتوقيرُك للكبيرِ
والعُجبَ والكِبرَ الذَميمَ اجتنب … واتْرُكْ لِحقدٍ حسدٍ وغضب
تعلّمُ العلمِ العظيمِ الشان … تعليمُه، تلاوةُ الفُرقان
النطقُ بالتوحيدِ، والدّعاءُ … والذكرُ الاستغفارُ والحياءُ
والفرضُ والنَّفلُ مِن الصلاة … فَكُّ الرقابِ الفرضُ مِن زكاة
والجُودُ، والصَّومُ الرفيعُ القَدْر … والاعتكافُ والتماسُ القَدرِ
وتَركُ لغْوٍ رَحَمةٌ تَوكُّلُ … وسَترُ عورةٍ، وطهرٌ يَجمُلُ
وحَجُّهُ، طوافُه، والعُمرةُ … فِرارُهُ بالدينِ، فيه الهجرةُ

وفاءُ نَذرٍ، والتحري في قسَمْ كفَّارة يبغي رِضاءَ مَن قَسَم
تَزَوُّجُ النساءِ والرِّجَالِ لِعفَّةٍ، والسَّعيُ للعِيالِ
تربيةُ الأولادِ، برُّ الولَدِ وطاعةُ العبدِ، ورفقُ السَّيِّدِ
وَحكْمُهُ بالعدلِ، والجماعة لازمةٌ، وللوُلاة الطاعه
كذلك الإصلاحُ بين النّاسِ حربُ البُغاةِ فيه والأرجاسِ
وصِلَةُ الأهلِ مع الأمانَه والخُمسُ منها، فاحذر الخيانه
تعاونٌ في البرِّ والصَّلاحِ كالأمرِ والنّهي مَعَ الإصلاحِ
والقرضُ والوفاءُ بالتَّمامِ حُسنُ الجِوارِ، الردُّ للسَّلامِ
وتركُ لَهوٍ: واكتسابُ المالِ من طرُقٍ مَشروعَةٍ حَلالِ
إنفاقُهُ في حَقِّهِ، ومَن غَدَا مبذِّراً أو مُسرفًا يلقَ الرَّدَي
تشميتُ عاطسٍ، وكفُّ الضَّررِ عن العبادِ خيفةَ المُقتدرِ
وفي الجِهادِ والرباطِ للعِدَا ما يحفظ الدنيا ويُبقي للهُدي
وإنَّ في إقامَةِ الحُدودِ المَنعَ من تجاوُزِ الحدودِ
إماطةُ الأذي عَن الطريقِ والحمد لله علي التوفيق



خاتمة

يَاصَاح إن العِلْمَ أسُّ العَمَلِ ... وما عَمِلتَ دونه لم يقْبَلِ
وغايةُ العلم به أن تَعمَلا ... يا خُسْرَ مَن لِعلْمِه قَد أهملا
وعالمٌ ذو عملٍ صغيرِ ... خيرٌ مِنَ الجاهل ذي الكبيرِ
وإنَّ مَن أحيَا به عِبادَهْ ... فضَّله عن سُنَن العبادَهْ
والفضلُ للكثيرِ من صلاةْ ... علي الطوافِ الجَمِّ ذي الصلاتِ
وفضله عن غيره لا يُجهلُ ... والنَّفْلُ في البيت وليلاً أفضلُ
وأفضلُ الذِّكرِ كِتابُ الله ... فاشغف به، واقرأه غيرَ لاهي
وما استبنت قارئًا معناهُ ... يزيد عَن مثليه مِن سِواهُ
واقرأهُ في الكتاب فَهُوَ أفضلُ ... والجهرِ إن تَأمَنْ رياءً أكملُ
ومطلق الأذكار من دُعَاهُ ... أفضلُ إلا ما قد استدعاهُ
وَفَضْلُ السُكوتُ عَن كلامِ ... إلا بحق فارعَ للمقام
وإن تخالط صابرًا فَحَبَّذَا ... وإن تخف إساءةً لا حَبَّذَا
وخيرُ ما تُرزَقُه الكَفَافُ ... فاقنَعْ به فحَبَّذا العفَاف
ولا يُنافي الكسبُ للتوكّلِ ... فَجِدَّ، وارضَ قِسمَةَ الموكَّل
ولا ينافِي خزنُ قوتِ السّنة ... توكُلاً كما أتي في السُّنّة
وقد أقام اللهُ للأنَامِ ... علي الذي هم فيه لِلنظامِ
سبحانه نسألُه الهِدايَهْ ... وحُبَّه، والخيْرَ في النِّهايهْ
لابن الخطيب والحبيب والعِدَا ... والحمدُ لله علي خيرِ الهُدي
ووافرِ الصلاة والتسليمِ ... علي النبي المصطفي الكريمِ
وآله، وسائر الأحبابِ ... مادام ذِكْرُ الله في كِتابِ



من مؤلفات الشيخ الإمام محمد خليل الخطيب

* تفسير القرآن الكريم « للخطيب النيدى»

* إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام 572 خطبة مشروحة منسقة حل بها مشاكل الدنيا والآخرة .

* غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب ، أول كتاب يجمع شعره مشروحًا مستفيضًا لائقًا بمكانته .

* ألفية الخطيب وشرحها ، أجمع كتاب فى فن الصرف .

* القصص الحق لسيد الخلق ﷺ بأسلوب النبى ﷺ مشروحه شرحًا جامعًا .

* شرح وترتيب حكم ابن عطاء الله السكندرى .

* نظم حكم ابن عطاء الله السكندرى .

* التراجم المهمة للأربعة الأئمة .

* رباعيات الخطيب .

* روضات الخطيب .

* مجامع الأنوار .

* بشرى العاشقين .

* لامية الخطيب فى الوعظ والحكم وشرحها .

* ديوان الخطيب عدة أجزاء .

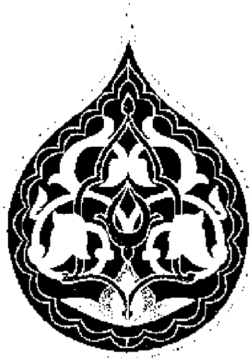
* ديوان الإمام على كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

* ديوان الإمام الشافعى وشرحه .

* تشطير الخطيب النيدى للامية ابن الوردى وشرحها .

* حكم الخطيب .
* ديوان أبى الفتح البستى وشرحه .
* تقريب صحيح الترمذى وشرحه .
* صورة المجتمع الكبرى .
* من أسرار الذكر .
* الوسيلة والتوسل .
* بداية التعرف فى شرح نقابة التصوف .
* مناسك الحجاج .
* اتحاف الذاكرين .
* رسالة الجهاد .
* الفتاوى .
* مدرسة الشعراء .
* شرح أمثال القاسم بن سلام .
* وحى الحديث .
* اتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار .
* الأحاديث المختارة فى البخارى وشرحها خمسة أجزاء .
* إتحاف السادات بأحكام الصلاة والسلام على أشرف المخلوقات ﷺ وتخريج أحاديث دلائل الخيرات .
* رسالة الصيام .
* الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة .
* شرح الشمائل المحمدية للإمام الترمذى .
* حكمة الرجز .

*** هذه المؤلفات منها ما طبع ومنها ما نسأل الله العزيز أن ييسر نشره وما ذلك على فضله بعزيز .**



الفهرس



يا طالباً فن التصوف حقه

إقرأ نقايته تجده صحيحاً

وهى الهدية للنبى محمد

ولمن تلاه موفقاً ممنوحاً

تحت إشراف
فضيلة الشيخ
محمود محمد خليل الخطيب
رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

إصدار مارس
٢٠٠٦